

المحاضرة الاولى

أهم الاحداث قبل مولد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

أراد الله سبحانه وتعالى أن يرحم البشرية ويكرم الإنسانية فحان وقت الخلاص بمبعث الحبيب (صلى الله عليه وسلم) وقبل أن نشرع في بيان ميلاده الكريم ونشأته العزيزة، ورعاية الله له قبل نزول الوحي عليه وسيرته العطرة قبل البعثة، نريد أن نتحدث عن الآيات العظيمة والأحداث الجليلة التي سبقت ميلاده عليه الصلاة والسلام، فقد سبق مولده الكريم أموراً عظيمة دلت على اقتراب تبشير الصباح ومن أهم هذه الأحداث

أولاً: قصة حضر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم لزمرم

كان عبد المطلب بن هاشم جد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يسقي الحجيج الذين يأتون للطواف حول الكعبة، ويقوم على رعاية بيت الله الحرام فالتف الناس حوله، فكان زعيمهم وأشرفهم، وكان عبدالمطلب يتمنى لو عرف مكان بئر زمزم ليحضرها؛ لأنها كانت قد ردمت بمرور السنين، ولم يعد أحد يعرف مكانها، فرأى في منامه ذات ليلة مكان بئر زمزم، فأخبر قومه بذلك ولكنهم لم يصدقوه، فبدأ عبد المطلب في حفر البئر هو وابنه الحارث، والناس يسخرون منهما، وبينما هما يحفران، تفجر الماء من تحت أقدامهما، والتف الناس حول البئر مسرورين، وظن عبد المطلب أنهم سيسكرونه، لكنه فوجئ بهم ينازعونه امتلاك البئر، ف شعر بالظلم والضعف لأنه ليس له أبناء إلا الحارث، وهو لا يستطيع نصرته، فإذا به يرفع يديه إلى السماء، ويدعو الله أن يرزقه عشرة أبناء من الذكور، ونذر أن يذبح أحدهم تقرباً لله. استجاب الله دعوة عبد المطلب، فرزقه عشرة أولاد، وشعر عبد المطلب بالفرحة فقد تحقق رجاؤه، ورزق بأولاد سيكونون له سنداً و عوناً، لكن فرحته لم تستمر طويلاً؛ فقد تذكر النذر الذي قطعه على نفسه، فعليه أن يذبح واحداً من أولاده، ففكر عبد المطلب طويلاً، ثم ترك الاختيار لله تعالى، فأجرى قرعة بين أولاده، فخرجت القرعة على عبد الله أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه، فأصبح في حيرة؛ أيذبح ولده الحبيب أم يعصى الله ولا يفي بنذره؟ فاستشار قومه، فأشاروا عليه بأن يعيد القرعة، فأعادها مراراً، لكن القدر كان يختار عبد الله في كل مرة، فازداد قلق عبد المطلب، فأشارت عليه كاهنة بأن يفتدي ولده بالإبل، فيجري القرعة بين عبد الله وعشرة من الإبل، ويظل يضاعف عددها، حتى تستقر القرعة على الإبل بدلاً من ولده، فعمل عبد المطلب بنصيحة الكاهنة واستمر في مضاعفة عدد الإبل حتى بلغت مائة بعير، وعندئذ وقعت القرعة عليها، فذبحها فداءً لعبد الله، وفرحت مكة كلها بنجاة عبد الله، وذبح له والده مائة ناقية فداءً له، وازداد عبد المطلب حباً لولده، وغمره بعطفه ورعايته. وقد ورد في فضل ماء زمزم أحاديث كثيرة فمنها: ما رواه مسلم في صحيحه في قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه: (إنها طعام طعم)، وعن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (ماء زمزم لما شرب له)

ثانياً: قصة أصحاب الفيل:

هذه الحادثة ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وأتت تفاصيلها في كتب السير والتاريخ، وذكرها المفسرون في كتبهم. ذات يوم استيقظ أهل مكة على خبر أصابهم بالفزع والرعب، فقد جاء ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي بجيش كبير، يتقدمه فيل ضخيم يريد هدم الكعبة حتى يتحول الحجيج إلى كنيسة التي بناها في اليمن، وأنفق عليها أموالاً كثيرة، واقترب الجيش من بيت الله الحرام، وظهر الخوف والهلع على وجوه أهل مكة، والتف الناس حول عبد المطلب الذي قال

لأبرهة بلسان الواثق من نصر الله تعالى: (لبيت رب يحميه). فازداد أبرهة عناداً، وأصر على هدم الكعبة، فوجه الفيل الضخم نحوها، فلما اقترب منها أدار الفيل ظهره ولم يتحرك، وأرسل الله طيوراً

من السماء تحمل حجارة صغيرة، لكنها شديدة صلابة، ألقت بها فوق رعوس جنود أبرهة فقتلتهم وأهلكتهم قال تعالى: أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } ، وفي هذا العام ولد الرسول (صلى الله عليه وسلم).

أولاً: نسب النبي (صلى الله عليه وسلم)

إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أشرف الناس نسباً وأكملهم خلقاً وخلقاً وقد ورد في شرف نسبه أحاديث صحاح منها ما رواه الإمام مسلم رحمه الله : أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن الله عز وجل - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم). وقد ذكر الإمام البخاري نسب النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: (هو أبو القاسم، محمد بن عبدالله، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، بن كعب، بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وقد جاء عن ابن سعد في طبقاته: (الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل). قال الذهبي في كتاب السيرة النبوية: (وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء). وام النبي (صلى الله عليه وسلم) هي السيدة آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

إن معدن النبي (صلى الله عليه وسلم) طيب ونفيس، فهو من نسل إسماعيل الذبيح وإبراهيم خليل الله واستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام وبشارة أخيه عيسى عليه السلام كما حدث هو عن نفسه، فقال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى أن طيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بعاليها وقضائلها والرسول والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وطهر أصلابهم، ويعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويثقون بهم. ومما تبين يتضح لنا من نسبه الشريف، دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى ميز العرب على سائر الناس، وفضل قريشا على سائر القبائل الأخرى، ومقتضى محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد والجنس بل من حيث الحقيقة المجردة ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية.

ثانياً: زواج عبد الله بن عبد المطلب من آمنه بنت وهب.

كان عبد الله أكرم شباب قريش أخلاقاً، وأجملهم منظرًا، ومن أحب ولد أبيه إليه، ولما نجا من الذبح وفداه عبد المطلب بمائة من الإبل أراد والده عبد المطلب أن يزوجه، فاختار له زوجة صالحة، هي السيدة آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أطهر نساء بني زهرة، وسيدة نسائهم والسيدة آمنه تلقت في نسبها مع عبدالله والد النبي (صلى الله عليه وسلم) في كلاب بن مرة، وتمر الأيام، ويخرج عبدالله في تجارة إلى الشام، بعد أن ترك زوجته آمنه حاملاً ولحكمة يعلمها الله، مات عبد الله قبل أن يرى وليده، ولم يكن زواج عبدالله من آمنه هو بداية أمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، قيل للنبي (صلى الله عليه وسلم) ما أول بدء أمرك : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاعت منه

قصور الشام). ودعوة إبراهيم عليه السلام هي قوله: { رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وبشرى عيسى: كما أشار إليه قوله عز وجل: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } . وقوله: (ورأت أُمِّي كأنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام)، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجيئ به من النور الذي اهتدى

به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها، كما قال تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } وقال ابن كثير: وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاذ الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى بن مريم بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها.

ثالثاً: ميلاد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم)

ولد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يوم الاثنين من شهر ربيع الأول بلا خلاف والأكثر على أنه ليلة الثاني عشر منه، والمجمع عليه أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل الذي يوافق عام (٥٧١م) وكانت والدته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم، ولدت السيدة أمنة بنت وهب زوجة عبد الله بن عبد المطلب غلاماً جميلاً، مشرق الوجه، وخرجت ثويبة الأسلمية خادمة أبي لهب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) تهرول إلى سيدها أبي لهب، ووجهها ينطق بالسعادة، وما كادت تصل إليه حتى همست له بالبشرى فتلهل وجهه وقال لها من فرط سروره اذهبي فأنت حرة وأسرع عبد المطلب إلى بيت ابنه عبد الله ثم خرج حاملاً الوليد الجديد، ودخل به الكعبة مسروراً كأنه يحمل على يديه كل نعيم الدنيا، وأخذ يضمه إلى صدره ويقبله في حنان

بالغ، ويشكر الله ويدعوه، وألهمه الله أن يطلق على حفيده اسم محمد.

وروى محمد بن إسحاق عن حسان بن ثابت: قال

والله إني لغلام يفعة؛ ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمه ب (يثرَب): يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك مالك؟! قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به.

رابعاً: مرضعته عليه الصلاة والسلام

كانت حاضنته (صلى الله عليه وسلم) أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه، وأول من أرضعته ثويبة أمة عمه أبي لهب .

حكاية مرضعة الرسول (صلى الله عليه وسلم):

جاءت المرضعات من قبيلة بني سعد إلى مكة؛ ليأخذن الأطفال الرضع إلى البادية حتى ينشئوا هناك أقوىاء فصحاء، قادرين على مواجهة أعباء الحياة، وكانت كل مرضعة تبحث عن رضيع من أسرة غنية ووالده حي؛ ليعطيها ما لا كثيراً، لذلك رفضت كل المرضعات أن يأخذن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لأنه يتيم، وأخذته السيدة حليلة السعدية لأنها لم تجد رضيعاً غيره، وعاش محمد

(صلى الله عليه وسلم) في قبيلة بني سعد، فكان خيراً وبركة على حليمة وأهلها، حيث اخضرت أرضهم بعد الجنب والجفاف، وجرى اللبن في ضروع الإبل.

حادثة شق الصدر:

تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل. وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة شق الصدر في صغره، فعن أنس بن مالك: (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره. ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش.

خامساً: وفاة أمه وكفالة جده ثم عمه:

توفيت أم النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزييره إياهم فماتت وهي راجعة به إلى مكة ودفنت بالأبواء وبعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب، فعاش في كفالته وكان يؤثره على أبنائه أي أعمام النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد كان جده مهيباً لا يجلس على فراشه أحد من أبنائه مهابة له، وكان أعمامه يتهيبون الجلوس على فراش أبيهم، وكان (صلى الله عليه وسلم) يجلس على الفراش ويحاول أعمامه أن يبعده عن فراش أبيهم فيقف الأب الجد بجانبه ويرضى أن يبقى جالساً على فراشه متوسماً فيه الخير وأنه سيكون له شأن عظيم، وكان جده يحبه حبا عظيماً

وكان إذا أرسله في حاجة جاء بها وذات يوم أرسله في طلب ايل فاحتبس عليه فطاف بالبيت وهو يرتجل يقول:

رب رد راكبي محمداً ... رده لي واصنع عندي يداً

فلما رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) وجاء بالإبل فقال له يابني: لقد حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقني أبداً.

ثم توفي عبد المطلب والنبي (صلى الله عليه وسلم) في الثامنة من عمره، فأوصى جده به عمه أبا طالب فكفله عمه وحن عليه ورعاه. أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيماً، تتولاه عناية الله وحدها بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامات، فيلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وكانت المصائب التي أصابت النبي (صلى الله عليه وسلم) منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر

رقة وتواضعاً. وليست وفاة والديه في العشرينات من حياتهما ناشئة عن هزالهما وضعف بنيتهما.. وإنما توفاهما الله بعد أن قاما بالمهمة التي وجدا من أجلها، ليتأسى بمحمد (صلى الله عليه وسلم) كل من فقد والديه أو أحدهما وهو صغير، وليكون أدبه وخلقه مع يتيمة دليلاً على أن الله تعالى تولى

رعايته وتأديبه، وحتى ينشأ قوي الإرادة ماضي العزيمة غير معتمد على أحد في شؤونه، وحتى لا يكون لأبويه أي أثر في دعوته وحتى لا تتدخل يد البشرية في تربيته وتوجيهه، فيكون الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تربيته، ولا يتلقى أو يتلقن من مفاهيم الجاهلية وأعرافها شيئاً، إنما يتلقى من لدن الحكيم الخبير فالله سبحانه وتعالى، أوامره وسخر له جده وعمه لتهيئة الجانب المادي بينما كانت التربية النفسية والخلقية والفكرية تعهدا ربانيا، ورعاية إلهية.

المحاضرة الثالثة

٢- بشارات علماء أهل الكتاب بنبوته:

أخبر سلمان الفارسي (رضي الله عنه) في قصة إسلامه المشهورة عن راهب عمورية حين حضرته المنية قال لسلمان (رضي الله عنه : إنه) قد أظلم زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما، نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فأفعل). ومن ذلك إخبار أخبار اليهود ورجالها بقرب مبعثه عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قصة أبي التيهان الذي خرج من بلاد الشام ونزل في بني قريظة ثم توفي قبل البعثة النبوية بسنتين، فإنه لما حضرته الوفاة قال لبني قريظة: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير - الشام إلى أرض البؤس والجوع يعني: الحجاز - ؟ قالوا : أنت أعلم، قال: إني قدمت هذه البلدة أتوكف انتظر - خروج نبي قد أظلم زمانه، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه. وقد شاع حديث ذلك وانتشر بين اليهود وغيرهم حتى بلغ درجة القطع عندهم، وبناء عليه كان اليهود يقولون لأهل المدينة المنورة: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، وكان ذلك الحديث سببا في إسلام رجال من الأنصار وقد قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه، لما كنا نسمع من رجال اليهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه تقارب الزمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم).

٣- الحالة العامة التي وصل إليها الناس

كانت الأوضاع الفاسدة، التي وصل إليها الإنسان في منتصف القرن السادس المسيحي أكبر من أن يقوم لإصلاحها مصلحون ومعلمون في أفراد الناس، فلم تكن القضية قضية إصلاح عقيدة من العقائد، أو إزالة عادة من العادات أو إصلاح مجتمع من المجتمعات ولكن القضية كانت قضية اقتلاع جرثومة الفساد واستئصال شأفة الوثنية واجتثاثها من جذورها، بحيث لا يبقى لها عين ولا أثر، وترسيخ عقيدة التوحيد في أعماق النفس الإنسانية ترسيخا لا يتصور فوقه، وغرس ميل إلى إرضاء الله وعبادته، وخدمة الإنسانية، والانتصار للحق، يتغلب على كل رغبة ويقهر كل شهوة، ويجرف كل مقاومة.

٤- إرهابات نبوته (صلى الله عليه وسلم)

ومن إرهابات نبوته (صلى الله عليه وسلم) تسليم الحجر عليه قبل النبوة، فعن جابر بن سمرة (رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن ومنها الرؤيا الصادقة وهي أول ما بدى له من الوحي فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وحبيب إليه (صلى الله عليه وسلم) العزلة والتحنث (التعبد) فكان يخلو في غار حراء وهو جبل يقع في الجانب الشمالي الغربي من مكة، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد، فتارة عشرة

وتارة أكثر من ذلك إلى شهر، ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى ويعود الكرة إلى غار حراء وهكذا إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك.

٥ - نزول الوحي:

كان عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) قد بلغ الأربعين وكان يخلو في غار حراء بنفسه ويتفكر في هذا الكون وخالقه وكان تعبده في الغار يستغرق ليالي عديدة حتى إذا نفذ الزاد عاد الى بيته فتزود لليالي أخرى، وفي نهار يوم الاثنين من شهر رمضان جاءه جبريل بغته لأول مرة داخل غار الحراء، وقد نقل البخاري في صحيحه حديث عائشة رضي الله عنها) انها قالت : (أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني قال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، فَارْجِعْ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَرْجِفُ فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني! زملوني حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له: ورقة: يا ابن أخي ماترى؟ فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر ما رأى فقال له: ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي)

الشدة التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) ووصف ظاهرة الوحي:

لقد قام جبريل عليه السلام بضغط النبي (صلى الله عليه وسلم) مرارا حتى أجهده وأتعبه، وبقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلقي من الوحي شدة وتعب وثقل كما قال تعالى: { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا }، كان في ذلك حكمة عظيمة لعل منها بيان أهمية هذا الدين وعظمته وشدة الإهتمام به، وبيان للأمة أن دينها الذي تتنعم به ما جاءها إلا بعد شدة وكرب، إن ظاهرة الوحي معجزة خارقة للسنن والقوانين الطبيعية حيث تلقى (صلى الله عليه وسلم) كلام الله بواسطة الملك جبريل (عليه السلام) وبالتالي فلا صلة لظاهرة الوحي بالإلهام أو التأمل الباطني أو الاستشعار الداخلي، بل إن الوحي يتم من خارج ذات النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتنحصر وظيفته بحفظ الموحى وتبليغه وأما بيانه وتفسيره فيتم بأسلوبه (صلى الله عليه وسلم). كما يظهر في أحاديثه وأقواله. إن حقيقة الوحي هي الأساس الذي تترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته وأخلاقه ولذلك اهتم المستشرقون والملاحدة من قبلهم بالطعن والتشكيك في حقيقة الوحي وحاولوا أن يؤولوا ظاهرة الوحي ويحرفوها عن حقيقتها عما جاءنا في صحاح السنة الشريفة، وحدثنا به المؤرخون الثقات، فقايل يقول أن محمد (صلى الله عليه وسلم) تعلم القرآن ومبادئ الإسلام من بحيرا الراهب، وبعضهم قال بأن محمدا كان رجلا عصبيا أو مصابا بداء الصرع. والحقيقة تقول أن محمد عليه الصلاة والسلام وهو في غار حراء فوجئ بجبريل أمامه يراه بعينه، وهو يقول له اقرأ، حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمرا ذاتيا داخليا مرده إلى حديث النفس المجرد، وإنما هو استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات. وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات قائلا

في كل مرة اقرأ ، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي ومبالغة في نفي ما قد يتصور، من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً داخلياً فقط.

ولقد أصيب النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرعب والخوف مما سمع ورأى وأسرع إلى بيته يرجف فؤاده، وهذا يدل على أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن متشوقاً للرسالة التي سيكلف بثقلها وتبليغها للناس، وقد قال الله تعالى تأكيداً لهذا المعنى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} . لقد تساقطت آراء المشككين في حقيقة الوحي أمام ما حدثتنا به السيدة عائشة (رضي الله عنها) وقد استمر الوحي بعد ذلك يحمل الدلالة نفسها على حقيقة الوحي وأنه ليس كما أراد المشككون.

أنواع الوحي:

تحدث العلماء عن أنواع الوحي فذكروا منها:

١- الرؤيا الصادقة:

وكانت مبدأ وحيه (صلى الله عليه وسلم)، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد جاء في الحديث رؤيا الأنبياء وحي، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}.

٢- الإلهام

وهو أن ينفت الملك في روعه أي قلبه من غير أن يراه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن روح القدس نفث في روعي) أي: إن جبريل نفخ في قلبي (لن) تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب) .

٣- أن يأتيه مثل صلصلة الجرس

أي مثل صوته في القوة، وهو أشده، كما في حديث عائشة: أن الحارث (رضي الله عنه) سأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كيف يأتيك الوحي؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول)

٤ - ما أوحاه الله تعالى إليه بلا وساطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران عليه السلام، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن وثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم) في حديث الاسراء.

٥- أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحى إليه ما شاء الله تعالى أن يوحيه.

٦- أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول وله وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً)

لقد كان نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بداية عهد جديد في حياة الانسانية بعدما انقطع وتاهت البشرية في دياجير الظلام. وكان وقع نزول الوحي شديداً على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما هو واضح من النص بالرغم من أنه كان أشجع الناس وأقواهم قلباً كما دلت على ذلك الأحداث خلال ثلاث وعشرين سنة، وذلك لأن الأمر ليس مخاطبة بشر لبشر

ولكنه كان مخاطبة عظيم الملائكة وهو يحمل كلام الله تعالى ليستقبله من اصطفاه الله جل وعلا لحمل هذا الكلام وإبلاغه لعامة البشر. ولقد كان موقفا رهيبا ومسؤولية عظيمة لا يقوى عليها إلا من اختاره الله تبارك وتعالى لحمل هذه الرسالة وتبليغها. ومما يتصور رهبة هذا الموقف ما جاء في هذه الرواية من قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لقد خشيت على نفسي) وقول عائشة رضي الله عنها) في هذا الحديث: (فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) قال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع). ومما يبين شدة نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (ولقد رأيته تعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصح عنه وإن جبينه ليتقصد عرقا)، وحديث عبادة بن الصامت (رضي الله عنه قال: كان نبي الله (صلى الله عليه وسلم) إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتريد وجهه)

- أثر المرأة الصالحة في خدمة الدعوة

فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني! فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على

نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق". كان موقف خديجة (رضي الله عنها) يدل على قوة قلبها حيث لم تفزع من سماع هذا الخبر واستقبلت الأمر بهدوء وسكينة، ولا أدل على ذلك من ذهابها فور سماعها الخبر إلى ورقة بن نوفل وعرضت الأمر عليه، فكان موقفها (رضي الله عنها من خبر الوحي يدل على سعة إدراكها حيث قارنت بين ما سمعت وواقع النبي (صلى الله عليه وسلم) فأدركت أن من جبل على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبدا، فقد وصفته بأنه يصل الرحم، وكون الإنسان يصل أقاربه دليل على استعداده النفسي لبذل الخير والاحسان إلى الناس، فإن أقارب الإنسان هم المرأة الأولى لكشف أخلاقه، فإن نجح في احتواء أقاربه، وكسبهم بماله عليهم من معروف كان طبيعيا بأن ينجح في كسب غيرهم من الناس. فقد سارعت إلى إيمانها الفطري، وإلى معرفتها بسنن الله تعالى في خلقه، وإلى يقينها بما يملك محمد (صلى الله عليه وسلم) من رصيد الأخلاق، وفضائل السمائل، ليس لأحد من البشر رصيد مثله في حياته الطبيعية التي يعيش بها مع الناس، فكانت موقنة بأن زوجها فيه من محاسن الأخلاق الرصينة، وفضائل الشيم المرضية، واشرف السمائل العلية ما يضمن له الفوز ويحقق له النجاح والفلاح. ولم تكتفي خديجة (رضي الله عنها) بمكارم أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) على نبوته بل ذهبت إلى ابن عمها العالم الجليل ورقة بن نوفل رحمه الله الذي كان ينتظر ظهور نبي آخر الزمان لما عرفه من علماء أهل الكتاب على دنو زمانه واقتراب مبعثه وكان لحديث ورقة أثر طيب في تثبت النبي (صلى الله عليه وسلم) وتقوية قلبه وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن الذي خاطبه هو صاحب السر الأعظم الذي يكون سفيرا بين الله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام بالجنة فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين). وعن عائشة رضي الله عنها) أن خديجة (رضي الله عنها) سألت رسول الله عن ورقة فقال: (قد رأيته فرأيت عليه ثيابا بيضا، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض). وروى عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن ورقة بن نوفل فقال: (أبصرته في بطنان الجنة وعليه السندس). لقد قامت خديجة رضي الله عنها بدور مهم في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) لما لها من شخصية في مجتمع قومها، ولما جبلت عليه من الكفاءة في المجالات النفسية التي تقوم على الأخلاق العالية من الرحمة والحلم والحكمة والحزم وغير ذلك من مكارم الأخلاق، والرسول (صلى الله عليه وسلم) قد

وفقه الله تعالى بهذه الزوجة المثالية، لأنه قدوة للعالمين وخاصة الدعوة إلى الله، فقيام خديجة بذلك الدور الكبير إعلام من الله تعالى لجميع حملة الدعوة الإسلامية بما يشرع لهم أن يسلكوه في هذا المجال من التماسي برسول الله حتى يتحقق لهم بلوغ المقاصد العالية التي يسعون لتحقيقها، وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول: (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة).

المحاضرة الثانية

سادساً: عمله (صلى الله عليه وسلم) في الرعي

كان ابو طالب مقلداً في الرزق فعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) برعي الغنم مساعدة منه لعمه، فلقد أخبر (صلى الله عليه وسلم) عن نفسه الكريمة وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعو الغنم، أما هو فقد رعاها لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ما بعث الله نبيا إلا زعى الغنم فقال: أصحابه وأنت يارسول الله؟ وأنا رعيته لأهل مكة بالقراريط، إن رعي الغنم كان يتيح للنبي (صلى الله عليه وسلم) الهدوء الذي تتطلبه نفسه الكريمة، ويتيح له المتعة بجمال الصحراء، ويتيح له التطلع الى مظاهر جلال الله

في عظمته الخلق، ويتيح له مناجاة الوجود في هدأة الليل وظلال القمر ونسمات الأشجار يتيح له لونا من التربية النفسية من الصبر والحلم والأناة والرافة والرحمة . ورعي الغنم يتيح لصاحبه عدة خصال تربوية منها :

١- الصبر على الرعي من طلوع الشمس الى غروبها ، نظراً لبطئ الغنم في الأكل، فيحتاج راعيها الى الصبر والتحمل، وكذا تربية البشر

٢- التواضع: إذ طبيعة عمل الراعي خدمة الغنم والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها والنوم بالقرب منها، وربما أصابه ما أصابه من رذاذ بولها أو شيء من روثها فلم يتضجر من هذا، ومع مداومة والاستمرار يبعد عن نفسه الكبر والكبرياء ويرتكز في نفسه خلق التواضع

٣- الشجاعة: فطبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة، فلا بد أن يكون على جانب كبير من الشجاعة تؤهله للقضاء ولتنع الوحوش من افتراس أغنامه . ٤- الرحمة والعطف إن الراعي يقوم بمقتضى عمله في مساعدة الغنم إن هي مرضت أم كسرت أو أصيبت، وتدعوها حالة مرضها وألمها الى العطف عليها وعلاجها والتخفيف من آلامها، فمن يرحم الحيوان يكون أشد رحمة بالإنسان وبخاصة إذا كان رسولا أرسله الله تبارك وتعالى لتعليم الإنسان وإرشاده وإنقاذه من النار وإسعاده في الدارين .

٥- حب الكسب من عرق الجبين: إن الله قادر على أن يغني محمداً صلى الله عليه وسلم) عن رعي الغنم، ولكن هذه تربية له ولأمته للأكل من كسب اليد وعرق الجبين وصاحب الدعوة يجب أن يستغني عن ما في أيدي الناس ولا يعتمد بدعوته عليهم ، فبذلك تبقى قيمته وترتفع منزلته، ويتعد عن الشبه والتشكيك فيه، ويتجرد عمله الله تعالى، ويرد شبهة الكفرة الظلمة الذين يصورون للناس ان الأنبياء أرادوا الدنيا بدعوتهم .

روى البخاري عن المقدام (رضي الله عنه عن رسول الله قال : (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده).

سابعاً: حفظ الله تعالى لنبيه قبل البعثة :

إن الله تعالى صان نبيه (صلى الله عليه وسلم) عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام روى الإمام أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه (رضي الله عنه قال : حدثني جار لخديجة (رضي الله عنها أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول لخديجة : أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزى. قال: كان صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون ، وكان لا يأكل ماذبح على النصب ، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل

وقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب ودواعيه ، فعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهتمون به إلا مرتين من الدهر كليهما يعصمني الله منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها : (أبصر إلى غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة، كما يسهر الفتيان، قال: نعم، فخرجت فجئت أدنى دار من دور مكة، سمعت غناء، وضرب دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني، فما أيقظني إلا من الشمس، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت ما فعلت شيئاً. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته .

ثامناً: لقاء الراهب بحيرا بالرسول وهو غلام

خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي (صلى الله عليه وسلم) في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب ، هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يسيرون فلا يخرج إليهم، ولا يلتفت. فبينما هم يحلون رحالهم جعل الراهب يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الاخر ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة، فلما جلس مال في الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه . قال : فبينما هو قائم عليهم، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم، فقال: ماجاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره، بعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد . هو خير منكم؟ قالوا: إنما اخترنا خير له لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه قال : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب.

ومما يستفاد من قصة بحيرا عدة أمور منها:

١- إن الصادقين من رهبان أهل الكتاب يعلمون أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو الرسول للبشرية، وعرفوا ذلك لما وجدوه من إمارات وأوصاف عنه في كتبهم.

٢- إثبات سجود الشجر والحجر للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وتظليل الغمام له وميل في الشجرة عليه.

٣- إن النبي (صلى الله عليه وسلم) استفاد من سفره وتجوالة مع عمه وبخاصة من أشياخ قريش حيث اطلع على تجارب الآخرين وخبرتهم ، والاستفادة من آرائهم، فهم أصحاب خبرة ودراية وتجربة لم يمر بها النبي (صلى الله عليه وسلم) في سنه تلك.

٤- حذر بحيرا من النصارى وبين أنهم إذا علموا بالنبي (صلى الله عليه وسلم) أنه سيقتلونه وناشد عمه وأشياخ مكة ألا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة يقتلونه، لقد كان الرومان

على علم بأن مجئ هذا الرسول سيقضي على نفوذهم الاستعماري في المنطقة، ومن ثم فهو العدو الذي سيقضي على مصالح دولة روما، ويعيد هذه المصالح إلى أربابها، وهذا ما يخشاه الرومان.

تاسعاً: حرب الفجار:

اندلعت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين هوازن وسببها أن عروة الرحال بن عتبة ابن هوازن أجار لطيمة وهي الجمال التي تحمل الطيب والبز والتجارة - للنعمان ابن المنذر إلى سوق عكاظ.

فقال البراض بن قيس ابن كنانة اتجيرها على كنانة؟ قال نعم، وعلى الخلق فخرج بها عروة، وخرج البراض يطلب غفلته حتى قتله، وعلمت بذلك كنانة فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم. ثم بلغهم الخبر، فاتبعوهم، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً وعاونت قريش كنانة وشهد محمد (صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم. وسميت يوم الفجار بسبب ما استحل فيه من حرمان مكة التي كانت مقدسة عند العرب. وقد قال (صلى الله عليه وسلم) عن تلك الحرب (كنت أنبل على أعمامي). أي: أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها، وكان صلى الله عليه وسلم حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة، وقيل ابن عشرين، ويرجح الأول أنه كان يجمع النبال، ويناولها لأعمامه، مما يدل على حداثة سنه. وبذلك اكتسب الجرأة والشجاعة والإقدام وتمرن على القتال منذ ريعان شبابه، وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه حروب العرب تبذوها، حتى ألف الله بين قلوبهم، وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم.

(تجارته لخديجة وزواجه منها وأهم الأحداث إلى البعثة)

أولاً: تجارته لخديجة وزواجه منها

كانت خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) أرملة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال ليتجروا بمالها، فلما بلغها عن محمد صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدموا الشام، وباع محمد سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد من السلع، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها.

وقد حصل محمد (صلى الله عليه وسلم) في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الذي ناله، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها من بعد وجعلها مركزاً لدعوته، وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه كما كانت رحلته سبباً لزواجه من خديجة بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكرام أخلاقه، ورأت خديجة في مالها البركة مالم تر قبل هذا وأخبرت بشمائله الكريمة ووجدت ضالتها المنشودة فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة فرضى بذلك وعرض ذلك على أعمامه، فوافقوا كذلك، وخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب فخطبها إليه وتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها، وقد ولدت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) غلامين وأربع بنات وابناه هما القاسم وبه كان صلى الله عليه وسلم يكنى وعبد الله، ويلقب الطاهر والطيب. وقد مات القاسم بعد أن بلغ سناً تمكنه من ركوب الدابة، ومات عبد الله وهو طفل، وذلك قبل البعثة أما بناته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن. هذا وقد كان عمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين تزوج خديجة رضي الله عنها ٢٥ سنة وكان عمرها ٤٠ سنة.

ثانياً: اشتراكه في بناء الكعبة الشريفة:

بناء الكعبة وقصة الحجر الأسود: اجتمعت قريش لإعادة بناء الكعبة، وأثناء البناء اختلفوا فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، واشتد الخلاف بينهم، وكاد أن يتحول إلى حرب بين قبائل قريش، ولكنهم تداركوا أمرهم وارتضوا أن يحكموا أول داخل عليهم وانتظر القوم، وكل واحد يسأل نفسه ترى من سيأتي الآن؟ ولمن سيحكم؟ وفجأة تهلت وجوههم بالفرحة والسرور عندما رأوا محمداً يقبل عليهم، فكل واحد منهم يحبه ويثق في عدله وأمانته ورجاحة عقله وسداد رأيه، فهتفوا هذا الأمين قد رضيناك حكماً، وعرضوا عليه الأمر وطلبوا منه أن يحكم بينهم، فخلع الرسول (صلى الله عليه وسلم) رداءه ووضع الحجر عليه، ثم أمر رؤساء القبائل فرفعوا الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى مكانه من الكعبة عندئذ حمله الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيده الشريفة ووضعه مكانه، وهكذا كفاهم الله شر القتال.

ثالثاً: تهيئة الناس لاستقبال نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)

شاءت حكمة الله تعالى أن يعد الناس لاستقبال نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) بأمور منها:

١- بشارات الأنبياء بمحمد (صلى الله عليه وسلم) دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في العرب رسولاً منهم، فأرسل محمداً إجابة لدعوته، قال تعالى: { رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، وذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أنزل البشارة بمبعث محمد (صلى الله عليه وسلم) في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين فقال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وبشر به عيسى عليه السلام وأخبرنا الله تعالى عن بشارة عيسى قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وأعلم الله تعالى جميع الأنبياء ببعثته، وأمرهم بتبليغ أتباعهم بوجوب الإيمان به واتباعه إن هم أدركوه، كما قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . وقد وقع التحريف في نسخ التوراة والإنجيل وحذف منهما التصريح باسم محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا توراة السامرة وإنجيل برنابا الذي كان موجوداً قبل الإسلام وحرمت الكنيسة تداوله في

آخر القرن الخامس الميلادي. جاء في حديث كعب الأحبار قال: (إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله، لا فظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل منزلة، ويكبرونه على كل نجد، يأتزون إلى أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، صفهم في الصلاة، وصفهم في القتال سواء، مناديهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده بمكة ومهجره بطابة، وملكه بالشام)

المحاضرة الخامسة

الأسلوب الخامس: التشويش

كان المشركون يتواصون بينهم بافتعال ضجة عالية وصياح منكر عندما يقرأ (صلى الله عليه وسلم) القرآن ؛ حتى لا يسمع فيفهم فيترك أثرا في عقل نقي وقلب طيب حسب زعمهم ، وفي ذلك قال المولى تبارك وتعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون [سورة فصلت : ٢٦ .

الأسلوب السادس: طلبهم أن تكون للرسول (صلى الله عليه وسلم) معجزات أو مزايا ليست عند البشر العاديين

ومن ذلك قولهم : [وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ الْبَالِ، وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ] سورة الإسراء ٩٠-٩٣ ، ولذا قال لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما جاء في الآية نفسها [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا]

الأسلوب السابع: المساومات.

ومن ذلك قولهم : أعبد الهتنا يوما وتعبد إلهك يوما، فأنزل الله تعالى سورة الكافرون

الأسلوب الثامن سب القرآن ومنزله ومن جاء به:

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مختلف بمكة، وكان إذا صلي بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم): [ولا تجهز بصلاتك " أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخاف بها " عن أصحابك فلا تسمعهم ، وأبتغ بين ذلك سبيلا] سورة الإسراء : ١٠ .

الأسلوب التاسع: الاتصال باليهود للإتيان منهم بأسئلة تعجيزية للرسول .

أوفدت قريش نفرا منهم إلى المدينة، وعلى رأسهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لياتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية ، فيطرحونها على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقالت لهم يهود سلوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين والروح، ولكن الله أبطل كيدهم عندما أنزل الله قرآنا في شأن الإجابة عن أسئلتهم.

الأسلوب العاشر: الترغيب .

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب، فأرسلت عتبة بن ربيعة، فقال للرسول (صلى الله عليه وسلم) : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم، فاسمع مني ، أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها : إن كنت إنما تريد بهذا

الأمر مالا جِمعنا لك من أموالنا ؛ حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا تقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرا ، فلما فرغ من قوله تلا رسول (صلى الله عليه وسلم) صدر سورة فصلت إلى قوله تعالى: [فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ الذَّرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ] ، وعندها وضع عتبة يده على جنبه ، وقَامَ كان الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش مخبرا إياهم بأن ما سمع ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة، وقال : والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلو عليه، وإنه ليخطم ما تحته ، واقترح على قريش أن تدع محمدا وشأنه .

الأسلوب الحادي عشر : الترهيب .

كان أبو جهل إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومنعة قال له : لنسفهن حلمك ، ولنضعفن رأيك ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجرا قال له: لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

الأسلوب الثاني عشر: الاعتداء الجسدي .

لم تثمر كل الأساليب السابقة في صد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه عن دينهم ، فلجأت قريش إلى أسلوب الاعتداء الجسدي والتصفية الجسدية وخاصة بعدما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يظهر شعائر دينه مثل الصلاة عند الكعبة، وقد حصلت من ذلك صور عديدة منها :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب ، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي ليطا على رقبته ، قال: ورجع ينكص على عقبه ويتقي يديه قال: فقيل له: مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخنذاً من نار وهو لا وأجنحة فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): الودنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا .

٢- عن أنس (رضي الله عنه ، قال : لقد ضربوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مرة حتى غشي عليه ، فقام أبو بكر ، فجعل ينادي: ويلكم ، أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ فتركوه وأقبلوا على أبي بكر يضربونه.

٣- كان أمية بن خلف سيد بلال يخرجها إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو تحت ذلك البلاء أحد أحد ، وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذابا ، فيقبل عليه، فيخنقه فيغشى عليه ثم يفيق ، وجعلوا في عنق بلال حبلا ، وأمروا صبيانهم أن يشدوا به بين جبلي مكة، ففعلوا ذلك وهو يقول : أحد أحد.

الأسلوب الثالث عشر: ملاحقة المسلمين خارج مكة والتحريض عليهم.

عندما هاجر بعض المسلمين إلى النجاشي أرسل قريشاً خلفهم من حاول اللحاق بهم قبل العبور إلى الحبشة، وعندما استقروا بالحبشة وكثر عددهم، أرسلوا في طلبهم، واستخدموا في ذلك الرشوة والحيلة للوقيعة بين المسلمين والنجاشي، ولكنهم فشلوا في ذلك.

الأسلوب الرابع عشر : المقاطعة العامة .

قررت قريش قتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع ابني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم في شعبهم، ومنعوه ممن أراد قتله، فوافق على ذلك حتى كفارهم ، ففعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية. ولما رأت قريش ذلك اجتمعوا وأثتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم؛ حتى يسلموا إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ففعلوا ذلك، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، فانحازت بنو هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب، فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب فكان مع قريش ، فأقاموا على ذلك ثلاث سنين، حتى جهدوا، ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية، حتى كانت قريش تؤذي من اطلعت على أنه أرسل إلى بعض أقاربه من المحصورين شيئاً من الأعطيات، وبلغ الجوع بالمسلمين مبلغ حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر، إلى أن قام في نقض الصحيفة نضر من أشدهم في ذلك ضيقاً، وهم: هشام ابن عمرو بن الحارث وزهير ابن أبي أمية والمطعم بن عدي وزمعة بن الأسود وأبو البختري بن هشام بن الحارث ، وكانت تربطهم ببني هاشم والمطلب صلات الأرحام ، وعلى الرغم من هذه المقاطعة وما جرى للمسلمين وراءها من معاناة إلا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يتوقف عن الدعوة، فقد كان يخرج في المواسم، ويلتقي القادمين على مكة، ويعرض عليهم الإسلام ، ولما أفسد الله الصحيفة خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحابته وخالفوا الناس ..

❖ إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

هو حمزة بن عبد المطلب الهاشمي القرشي عم رسول الله وأخوه من الرضاعة لقب بسيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله ويكنى أبا عمار ، وفيما ذكر عن سبب إسلامه ما روي أن أبا لهب مر برسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً عند الصفا فأذاه ونال منه، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يرد عليه، ثم ضربه أبو جهل بحجر في راسه فنزف منه الدم، وتركه وانصرف إلى قريش بمجالسهم عند الكعبة ، وكانت هناك مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها قد رأت ما فعله أبو لهب للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، فلم يلبث أن اقبل حمزة بن عبد المطلب متوشحاً قوسه راجعاً من صيد له ، وكان حمزة إذا رجع من صيد لم يدخل على اهله حتى يطوف بالكعبة ، فلقيته هذه الجارية وقالت له : (يا ابا عمار لو رأيت ما لقي ابن أخيك تقصد النبي (صلى الله عليه وسلم) من أبي الحكم بن هشام ، وجده جالساً هنا فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم أنصرف ولم يكلمه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فغضب حمزة غضباً شديداً وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمته، فخرج يسعى لم يقف لأحد متجهاً لأبي جهل فدخل عليه مجلسه حيث يجتمع قريش وأقبل نحوه وقال : (أتستم ، محمد وأنا على دينه أقول ما يقول ؟) ثم ضربه على راسه ضربة مذكورة شجبت راسه، فقام رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل فقال لهم أبو جهل : (دعوا أبا عماره فإني قد سببت ابن أخيه سبا قبيحاً)

تم إسلام حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) وشرح الله صدره للإسلام وأعز الله به الدين ومعروف عن حمزة؟ إنه الأسد الضرعام الذي قتل الطغاة يوم بدر، ومزق صفوف الشيطان في تلك المعركة الفاصلة، لقد أسلم عزيزاً، وعاش كريماً، ومات شهيداً.

❖ إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :

دعا الرسول (صلى الله عليه وسلم) الله أن يعز الإسلام بأحد العمرين: عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام، وكان عمر بن الخطاب قبل أن يسلم شديد الإيذاء للمسلمين، وذات يوم حمل عمر سيفه، وانطلق يبحث عن محمد ليقتله، وفي الطريق قابله رجل، وأخبره أن أخته فاطمة قد أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد، فاتجه عمر غاضباً نحو دار أخته ودق الباب، وكان الصحابي خباب بن الارت (رضي الله عنه) يعلم أخت عمر وزوجها القرآن الكريم، فلما سمعوا صوت عمر امتلأت قلوبهم بالرعب والخوف، وأسرع خباب فاختربا في زاوية من البيت، ودخل عمر فقال: لقد أخبرت أنكما تبعتما محمداً على دينه، ثم ضرب زوج أخته، وضرب أخته على وجهها حتى سال الدم من وجهها، ولكنها لم تخف وقالت له في ثبات وشجاعة: نعم أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما شئت.

ندم عمر على ما صنع بأخته، وطلب منها الصحيفة التي كانوا يقرءون منها، فقالت له: يا أخي إنك نجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، فقرأ عمر: بسم الله

الرحمن الرحيم { طه . أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إِلَّا تَتَكَبَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ، تَتَزَيَّلُوا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَإِنْ تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرُّ وَأَخْفَى ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [طه: ١-٨]

وكانت هذه الآيات نوراً جذب عمر إلى الإسلام وأضاء له طريق الحق، فما إن قرأها حتى لان قلبه، وهدأ طبعه، وذهب عنه الغضب، وقال والإيمان يفيض في جوانحه: ما أحسن هذا الكلام وما أكرممه، ثم ذهب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وأعلن إسلامه، وبعد قليل من إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الكعبة في وضح النهار بين عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنهما) وامتنع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بهما، وكان المسلمون لا يقدرون أن يصلوا عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم هو وحمزة بن عبد المطلب صلى المسلمون عند الكعبة. قال عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): (إن إسلام عمر كان فتحاً وهجرته كانت نصراً وامارته كانت رحمه ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلا عند الكعبة وصلينا معه).

المحاضرة الرابعة

مراحل الدعوة الإسلامية

مرت الدعوة الإسلامية بمرحلتين رئيسيتين؛ هما المرحلة السرية والمرحلة الجهرية، وكانت

حوادثهما وتفصيلاتهما على النحو الآتي:

مرحلة الدعوة السرية المرحلة السرية :

يقصد بها تلك المدة التي كان يدعو فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الإسلام خفية، فقد بقي بعدما بعثه الله بالرسالة مدة ثلاث سنوات تقريبا، يتستر في دعوته ويتحاشى الإعلان عن رسالته أمام الرأي العام. لقد استجاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأمر ربه بعد أن أمره بالدعوة عن طريق جبريل (عليه السلام)، فبدأ بدعوة أهل مكة للإيمان بالله وحده والكفر بالأصنام وجميع المظاهر الشركية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت وقد ورثوا عبادتها عن آبائهم وأجدادهم، لكن دعوته في تلك الفترة كانت سرا؛ وذلك حذرا من ردة فعل قريش إذا ما علموا بظهور الإسلام وانتشاره، فقد كانت قريش متعصبة لعبادتها ووثنياتها وأصنامها، فاقترعت دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) في تلك المرحلة على من كانت تربطه علاقة وثيقة بالنبي (عليه الصلاة والسلام) حتى يضمن سرية ما دعاه إليه حتى إن لم يُجبهِ إليه، لذلك يظهر أن أول من آمن بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه المرحلة هم أقرب الناس إليه، وكان أولهم على الإطلاق زوجه خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وأبا بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم (رضي الله عنهم جميعاً).

كان هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً إذا ما أرادوا الالتقاء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلتقون به سرا، وكانوا إذا ما أرادوا ممارسة العبادات لجؤوا إلى شعاب مكة حتى لا يراهم أحد من كفار قريش، ولما زاد عدد المسلمين في هذه المرحلة عن الثلاثين ما بين رجال ونساء رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يجعل لهم مكانا خاصا للعبادة بعيدا عن أعين قريش فاختر لهم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان فيها يلتقي بهم فيرشدهم ويعلمهم أمور دينهم وكان معظمهم من الفقراء والعبيد والضعفاء الذين ليس لهم شأن في قريش. لقد كان هذا الأسلوب ضروريا للأسباب الآتية : أولا : من أجل الحفاظ على مستقبل الدعوة، كي لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها. فلو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أعلن عن دعوته فور البعثة لانتفضت قريش وقضت على هذه الدعوة وعناصرها بشكل سريع وحاسم من أول الطريق. ثانيا: هدف من البعثة النبوية القيام بعملية تبليغ شاملة لكل الواقع الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي واستبداله بواقع جديد يستند إلى مبادئ الإسلام وعقائده ومفاهيمه، لذا لا بد من إتاحة فرصة لتهنية وإعداد الكوادر والقوى التي تستطيع تحقيق هدف كبير مثل هذا. ثالثا : إن مدة المرحلة السرية كانت بمثابة إعداد نفسي وتربيت عقيدية وروحية وجهادية لتلك الصفوة والجماعة التي دخلت في الإسلام وأمنت بربها وبرسالة نبيها الأكرم وكان لا بد في هذه المرحلة أن يقوم النبي (صلى الله عليه وسلم) يمثل هذه التربية، التي تمكن من الصمود في وجه التحديات المنتظرة.

مرحلة الدعوة الجهرية

لما انتشر الإسلام في مكة وازداد عدد المسلمين وأصبحت قريش تتحدث به، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن يجهر بالدعوة وبما جاءه من الحق، وكان ذلك بعد ثلاث سنوات من بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث جاء في ذلك قول الله تعالى: **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**)، كما قال تعالى: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** أجهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالدعوة تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى، فعمد إلى جبل الصفا حتى وقف عليه، ثم جعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟** قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**، فقال أبو لهب اتبنا لك سائر اليوم، **ألهذا جمعتنا؟** فنزلت: **تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ثم بعد ذلك بدأ النبي (صلى الله عليه وسلم) بدعوة أهله وقرايته فجمعهم إليه ودعاهم للإسلام، فقال: (يا بني كعب بن لوي، اتقوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، اتقوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس اتقوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف اتقوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم اتقوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب اتقوا أنفسكم من النار يا فاطمة اتقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رجما سألها). ونزل هذا الكلام على قلوب الكفار نزول الصاعقة، فقد أصبحت المواجهة واضحة بينهم وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إنه يطلب منهم أن يتركوا الأصنام التي يعبدونها، وأن يتركوا الفواحش، فلا يتعاملون بالربا، ولا يزنون ولا يقتلون أولادهم، ولا يظلمون أحدا، لكنهم قابلوا تلك الدعوة بالرفض، وبدءوا يسخرون من النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن دعوته، فصبر (صلى الله عليه وسلم) عليهم وعلى تطاولهم.**

العبر والفوائد من الدعوة الجهرية :

١. الموقف السلبي لعشيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الفترة فيه الرد القاطع على من يحاول تصوير هذا الدين بأنه ثمرة من ثمار القومية، ويدعون بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يمثل بدعوته آمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين .

٢. تباطؤ الناس في الدخول في الإسلام دليل على مدى قوة وتغلغل التقاليد في المجتمعات، وهو الأمر يواجهه الدعاة في كثير من المجتمعات حتى في الشعوب الإسلامية التي تكون بعيدة عن المنهج الحقيقي للإسلام فتنتشر فيها البدع والخرافات ويصعب على الدعاة انتشالهم منها .

٣. أن في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة إشارة إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عموماً والدعاة خصوصا .

- الأساليب التي اتبعتها قريش في محاربة واضطهاد النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه.

اتخذت قريش أساليباً عدة لمحاربة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ومن هذه الأساليب:

الأسلوب الاول: محاولة منع عمه أبي طالب من نصرته .

وذلك حتى يكفه عن الدعوة، أو يجرده من حمايته، فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمه أبي طالب ، وقالوا له : إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل

آباءنا ، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ،

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه

الأسلوب الثاني: التهديد بمقاتلة الرسول (صلى الله عليه وسلم وعمه أبي طالب

مضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يظهر دين الله ، ويدعو إليه، فغضبت منه قريش ، وحض بعضهم بعضاً ، ومشوا إلى عمه مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإننا قد استنهيئك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإننا . والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك. حتى يهلك أحد الفريقين " ، وهنا لما سمع أبو طالب مقالة القوم بعث إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبلغه بالذي قالوه، وطلب منه أن لا يحمله من الأمر ما لا يطيق ، وبعد أن ظن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن عمه قد ضعف عن نصرته قال له: (ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته) ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقام من عند عمه فلما ولي ناداه عمه فقال: " أقبل يا ابن أخي فلما أقبل قال له : اذهب يا ابن أخي، وظل أبو طالب طوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويحميه ويمتنع عن الدخول في الإسلام فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا .

الأسلوب الثالث: الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه.

حيث اتهموا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باتهامات باطلة منها:

١- الجنون:

وفي ذلك نزل قوله تعالى: [وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ] سورة الحجر : ٦.

٢- السحر : قال الله تعالى : [وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] سورة ص : ٤ . وقد تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن ، فعندما أوشك دخول موسم الحج جمع فريقه من عتاة المجرمين فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً " ، واتفقوا على أن يصفوه بالسحر لأنه يفرق بين الأقارب، ولكن شاء الله أن تصدر العرب من مكة على أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

٣- الكذب:

قال الله تعالى : [وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ] سورة ص : ٤٠

٤-الآتيان بالأساطير:

قال الله تعالى : وَقَالُوا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا سورة الفرقان :هـ.

هـ- قالوا إن القرآن ليس من عند الله ، وإنما هو من عند البشر: قال تعالى: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ سورة النحل : ١٠٣

٦- اتهموا المؤمنين بالضلالة :

قال تعالى: [وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُّونَ] سورة المطففين: ٣٢.

الأسلوب الرابع: السخرية والاستهزاء والضحك والغمز واللمز والتعالي على المؤمنين. قالت امرأة مشركة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ساخرة مستهزئة: إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا؛ فأنزل الله تعالى: [وَالضَّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى سورة الضحى: ١-٣